العدد (1798) السنة السابعة - الثلاثاء (18) أيار 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

بعد مقتل أبرز قياديها وانحسار نشاطها

القاعدة في العراق تواجه مستقبلاً مجهولاً

الحرب ضد الإرهاب

قصة تنظيم القاعدة في العراق ليست وليدة مابعد التاسع من نيسان ٢٠٠٣ كما يتوقع البعض، بل وكما يؤكد البعض الآخر، منظرين لفكرة ان الاميركان اتوا بهم ليحاربوهم في العراق، وخططوا لذلك بعد احداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١. وكأن الأمر اشبه بلعبة شطرنج يتحكم فيها طرف واحد. ولم تسعفهم ذاكرتهم، بان صدام قد جلب ٦٠٠٠ مقاتل منهم قبل اندلاع حرب اسقاطه عام ٢٠٠٣ لغرض مقاتلة الاميركان ووضعوهم في خنادق حول بغداد ورفعوا امامهم شعار"لن يمروا". على هؤلاء ان يتساءلوا اين تسرب هؤلاء، وهل"تبخروا"حسب تعبير سيدهم. وربما نسي هؤلاء ان فكر القاعدة التفكيري قد اتيح له المجال الفكري تحت رعاية المخابرات العراقية وبتغلغلهم داخل التنظيم، والغرض من الفرصة التي اعطيت لهم هي لمحاربة بقية الافكار الدينية وغير الدينية. بعد سقوط الدكتاتور سقطت الاقنعة وصار الصراع مكشوفا، تنظيميا اعلنت القاعدة وجودها في العراق، وعسكريا استغلت الفراغ الامني الذي حصل بعد سقوط صدام لتظهر كقوة مؤثرة قادرة على مسك الارض، وعلى التأثير في المعادلة الامنية، في ظل غياب شبه مطلق لقوات الامن والشرطة والجيش العراقي.
الملف محاولة من المدى لالقاء المزيد من الضوء على واقع هذا التنظيم الارهابي، سياسيا وتنظيميا وعسكريا، وسيكون المجال مفتوحا لاية مساهمات تصب في هذا الجهد، لان محاربة القاعدة قضية سياسية وفكرية قبل ان تكون قضية أمنية.

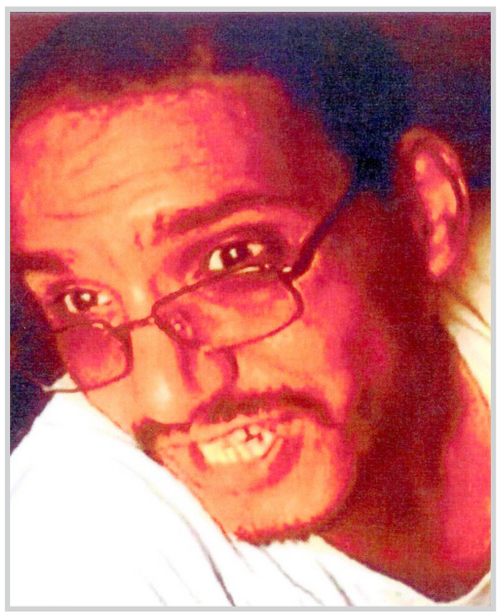

□ بغداد / المدى

مجرد لصوص"هكذا تصف سماهر عناصر تنظيم القاعدة في محافظة ديالى، وسماهر إحدى ثلاث نساء مومسات أصبحن جزءا من ستراتيجية مسلحي القاعدة لاختراق الأجهزة الأمنية في مدينة بعقوبة، بين عامي ٢٠٠٦-٢٠٠٧ عندما أرغمن على التعاون مع أولئك المسلحين مقابل الإبقاء على حياتهن.
وتضيف سماهر (٢٩ سنة) في حديث لـ"السومرية نيوز"أن عناصر القاعدة"ليسوا كما يقال عنهم أناسا متمسكين بتطبيق الاسلام ، كلا، إنهم يبتزون الآخرين كي يحصلوا على الأموال، وتجارتهم هي الدين"، وتصفهم مرة أخرى بقولها"زبائن، مجرد زبائن".

قيادي بزي امرأة وضابط أمن سابق يجند النساء

وتقول سماهر، التي تسكن حاليا في شقة متواضعة قرب مدينة بعقوبة ان"تنظيم القاعدة استغلها لنقل منشورات ورزم مغلفة"، كما أنها"أرغمت على صعود سيارة مدنية نهاية عام ٢٠٠٦ لإخراج قيادي في القاعدة كان محاصرا من قبل القوات الأمنية في حي سكني، فتنكر بزي امرأة وخرج معي دون أن يلحظه أحد".
وتبدو سماهر غير نادمة على سمعتها السيئة بين الناس، وتفسر ذلك بقولها"كل إنسان لديه طاقة محددة للتحمل، فإذا نفدت انحرف عن جادة الصواب، وهذا هو سبب ما أنا عليه الآن".
أما نوار (٣٣سنة)، التي بانت على وجهها المغطى بمساحيق التجميل علامات الإرهاق والتعب، فتقول إن"مسلحي القاعدة يدعون الاسلام لكنهم بعيدون جدا عنه، فقد أرغمتُ على تنفيذ كل ما يرغبون به مقابل الإبقاء على حياتي".
وتضيف: القاعدة كانت تحثنا لاستدراج بعض منتسبي الأجهزة الأمنية للوقوع في شراكنا ومعرفة ما يجري داخل تلك الأجهزة".
وتوضح نوار"هناك أسئلة كانت توضع لنا، ويجري تسجيل كل شيء بواسطة أجهزة تسجيل يزودنا بها شخص كان يتولى الإشراف على هذا الأمر، ويدعى أبو ناجي، وهو ضابط أمن سابق برتبة نقيب وقيادي ميداني لدى القاعدة. وكانت تربطه علاقة مع إحدى النساء اللواتي أعرفهن قبل سقوط النظام السابق".
وتكمل نوار حديثها عن أبي ناجي بالقول انه"كان يسعى لتأسيس شبكة نسائية مهمتها تنفيذ بعض الواجبات التي يصعب على عناصر القاعدة تنفيذها".
وعن طبيعة عملها قالت: "بالنسبة لي كنت أعمل، ولمدة عام ونصف العام، على نقل منشورات وكتب ورسائل بين مختلف المناطق، وخصوصا في حالات التوتر الأمني وإغلاق الأحياء سكنية، عندها نكون نحن الوسيلة الناجحة لاختراق الحواجز الأمنية دون أن نلفت انتباه أحد". وتواصل روايتها"بعد ذلك تمكنت من الهرب إلى إحدى دول الجوار بجواز سفر مزور، وقد عدت قبل أشهر قليلة إلى أطراف بعقوبة".
وتختم نوار حكايتها"أحاول الآن أن أنسى الماضي المؤلم وأبدأ حياة جديدة لأصلح ما أفسدته السنوات الماضية، أشعر بندم يتنامى يوما بعد يوم بسبب سلوكي السابق المنحرف".
وتعترف قائلة"انحرفت عن الطريق المستقيم وأرغمت على ذلك بسبب الفقر والحاجة، لذا عشت تجارب قاسية جدا ولعل أكثرها ألما هو استغلالي من قبل مسلحي القاعدة، وآمل الآن أن أغير حياتي والابتعاد عن ذلك الماضي".

كان للقاعدة عناصر في الأجهزة الأمنية

أما وردة (٣٠ عاما) فتقول إن"القاعدة بعدما ازدادت قوتها بشكل كبير، خيّرتنا بين التعاون أو الموت، فاخترنا التعاون على أمل البقاء أحياء".
وتشير وردة في حديث لـ"السومرية نيوز"إلى أن"القاعدة كانت لديها عناصر تعمل لحسابها داخل الأجهزة الأمنية العراقية تزودها بالأسرار الأمنية والعسكرية".
وحول طبيعة عملها تقول وردة"كان عملي نقل أوراق ومنشورات أو معرفة ما يجري داخل المؤسسات الحكومية ومنها مبنى المحافظة".
وتضيف أنها"استطاعت الهرب إلى بغداد، بعدما عرفت أن صديقة لها قتلت ذبحا من قبل القاعدة"، وانها"عادت بعد عام ٢٠٠٨ وغيرت محل إقامتها".

حبوب ومخدرات في أوكار القاعدة

تلك الحكايات لم تفاجئ القيادي في صحوة ديالى محمد المجمعي الذي يقول: "القاعدة لم تكن تتهاون في فعل أي شيء من أجل الوصول إلى مبتغاها. ولعل العثور على حبوب هلوسة ومخدرات داخل معاقلها يؤكد طبيعة هذا التنظيم".
ويكشف المجمعي أن"بعض عناصر الصحوة وجدوا كميات كبيرة من علب المشروبات الكحولية في أوكار القاعدة".
ويؤكد"نحن ندرك حقيقة تنظيم القاعدة، لكن الرأي العام يتصور انه تيار إسلامي، والحقيقة غير ذلك".
وفي السياق نفسه، يرى مسؤول أمني أنه"لا يستبعد أن تستغل القاعدة بعض النساء سيئات السمعة للإيقاع بمنتسبي الأجهزة الأمنية، وهذا أمر يمكن حدوثه في ظل تأكيدات بأن بعض قياديي القاعدة هم سابقا رجال أمن محترفون لذا فان استغلال المرأة في اختراق الأجهزة الأمنية ستراتيجية اتبعتها القاعدة في الفترة الماضية، وحققت بعض النتائج"، إلا أنه يستدرك بالقول إن"الوضع الآن أفضل بكثير"، على حد تعبيره.

حرب المعلومات تتم بكل الطرق

ويرى ضابط أمن سابق برتبة رائد هو غسان راسم جميل أن"حرب المعلومات وعمليات اختراق الأجهزة الأمنية تتم بكل الطرق سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة، ولعل استغلال المرأة في هذا المجال من المسلمات المعروفة على مر العصور".
ويستنتج جميل في حديث لـ"السومرية نيوز""ليس غريبا أن تستغل القاعدة هذا الاتجاه لمصلحتها فهو يحقق لها التفوق المعلوماتي".
ويجمع اغلب مواطني مدينة بعقوبة أن"تنظيم القاعدة الذي تمسك بالنهج المتطرف واعتمد العنف والسلاح وسيلة لتحقيق غاياته وأهدافه هو المسؤول الأول عن أحداث دموية راح ضحيتها آلاف المدنيين في مئات التفجيرات التي تعرضت لها أغلب مناطق المحافظة خلال السنوات التي تلت سقوط النظام السابق".
يذكر أن القيادات الأمنية في محافظة ديالى، تؤكد أن التنظيمات الارهابية اتبعت العديد من الاستراتيجيات في محاولة لاختراق المنظومات الأمنية، خلال فترة التدهور الأمني، ويعتبر استخدام النساء إحدى الاستراتيجيات التي اتبعتها هذه التنظيمات ونجحت في تحقيق ذلك، خلال الأعوام الثلاثة الماضية

تراجع القاعدة

على الرغم من التراجع الملحوظ في قوة تنظيم القاعدة ونفوذه خلال العامين الأخيرين، فإن ذلك لا يعني تلاشي تأثيره وقدرته على إحداث مفاجآت قد تشكل بدورها اختبارا للقوى المناوئة له، ومنها الحكومة والاحزاب السياسية المشاركة في العملية السياسية، فضلا عن مجالس الصحوات العشائرية التي اكتسبت شهرة كبيرة نتيجة نجاحها في التصدي لمقاتلي التنظيم في مناطق تمركزهم الكبرى.
ولقد شهد عام ٢٠٠٦ و٢٠٠٧ أحداثاً مهمة منها مقتل زعيمها الزرقاوي وتشكيل ما يسمى بدولة العراق الاسلام ية التي تشكلت من مجموعات ارهابية ابرزها ما يسمى جماعة التوحيد والجهاد في بلاد الرافدين أو"قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين". كان يقودها"أبو مصعب الزرقاوي"في العراق وتم القضاء عليه من قبل طائرة ضربت منزلاً فيه عائلة كاملة في محافظة ديالى وفي الحقيقة كان هذا منزل أحد القادة المسؤولين الميدانيين في التنظيم في وقت تواجد فيه أبو مصعب الزرقاوي في ذلك البيت والجماعة هي التي تضم النسبة العليا فيها من المسلحين العرب والنسبة الضئيلة من العراقيين، وبعد مقتل الزرقاوي تم اختيار"أبو عمر البغدادي"أميرا للمجلس الجديد. وأبو عمر البغدادي المسؤول عن عدد من العمليات في العراق حسب تسجيلات الزرقاوي، بلغ عدد عناصر تنظيم القاعدة في منتصف عام ٢٠٠٤ بالعراق بحدود ٣٠ مقاتلاً فقط، واقتصرت العمليات على خطف مدنيين وقطع رؤوسهم وتفجيرات واغتيال بعض الشخصيات وقد اثبتت التحقيقات أنه كان من ينفذ هذه العمليات هم منتسبون من عناصر الحرس الجمهوري وفدائيين صدام الذين كانوا على تدريب عال قبل سقوط نظام صدام.
وفي السنتين الاخيرتين تعرض التنظيم الى ضربات عسكرية افقدته العديد من عناصره كان اخرها مقتل زعيمي التنظيم ابو عمر البغدادي وابو ايوب المصري ما دفع التنظيم الى تعيين زعيمين جديدين.
وأعلن البيان تسمية «أبي بكر البغداديّ زعيما للتنظيم وأبي عبد الله نائباً له.. وكان التنظيم عين الناصر لدين الله ابو سليمان الذي تؤكد المعلومات انه من اصل مغاربي «وزيراً للحرب"خلفاً لأبي أيوب المصري الذي كان يمثل شق «المهاجرين» أو المقاتلين العرب كنوع من التوازن بين القادة العراقيين والأجانب.
في ضوء هذه التصريحات اعلن المتحدث باسم الحكومة علي الدباغ في حديث لـ"السومرية نيوز"، إن"الزعيم الجديد لتنظيم القاعدة في العراق سيواجه مهمة صعبة في إدارته للتنظيم لعدم توفر القاعدة اللوجستية للتنظيم حاليا، على عكس ما كان متوفرا للزرقاوي وأبو أيوب المصري"، مبينا أن"اختراق الجانبين العراقي والأمريكي لعمل تنظيم القاعدة سيؤثر كثيرا على عمل التنظيم في الفترة المقبلة".
وأضاف الدباغ أن"كل هذه الأمور تجعل من حركة الزعيم الجديد لتنظيم القاعدة صعبة وليست سهلة"، مؤكدا أن"الأجهزة الاستخبارية بإمكانها الاستفادة من المعلومات التي حصلت عليها بعد الهجوم على وكر المصري والبغدادي لتوجيه ضربات جديدة للقاعدة".
وأشار المتحدث باسم الحكومة إلى أن"الحكومة العراقية لا تمتلك معلومات عن الزعيم الجديد لتنظيم القاعدة"، مبينا في الوقت نفسه أن"الأجهزة الاستخبارية تحاول التعرف حاليا على المعلومات الخاصة بالاسم الحقيقي لزعيم تنظيم القاعدة الجديد".
وكان المتحدث باسم قيادة عمليات بغداد قاسم عطا قد اكد في وقت سابق، أن"وزير الحرب الجديد لدى تنظيم القاعدة الارهابي الناصر لدين الله ابو سليمان الذي اعلن عن تنصيبه ستكون ايامه معدودة وسنجعل من فترة ولايته هذه أقل من اسلافه بكثير"، مؤكدا أن"هناك معلومات استخبارية دقيقة مقدمة من قبل الخلية الاستخبارية التي خططت لعملية (وثبة الأسد) عن الارهابي ابو سليمان لا يمكن الافصاح عنها في الوقت الحالي".
فيما قال المدير العام لوكالة شؤون الشرطة العراقية اللواء مهدي صبيح في تصريح صحفي أن «اعلان تنظيم القاعدة تنصيب قادة جدد في العراق خلفاً للقادة الذين تمت تصفيتهم في عمليات عسكرية مشتركة، بعد نحو شهر من تنفيذ تلك العمليات، يعكس تقهقر التنظيم».

هناك معلومات استخبارية دقيقة من قبل خلية خاصة خططت لعملية وثبة الأسد عن الارهابي ابو سليمان لا يمكن الافصاح عنها في الوقت الحاضر

وأوضح أن «المعلومات الاستخبارات ية كشفت ملامح القادة الجدد»، لافتاً الى أنهم «غير محظوظين كونهم جاؤوا في توقيت حرج في ظل جاهزية قوات الأمن وتزايد أعدادها وتطور امكاناتها».
في المقابل، أكد مدير الأمن الوطني في محافظة صلاح الدين العميد جاسم الجبارة في تصريح لصحيفة الحياة اللندنية أن «القادة الجدد لتنظيم القاعدة لا يملكون قاعدة بيانات يمكن أن يستندوا اليها كون التنظيم ما زال يعاني من ضربات القوات العراقية». وكانت الأجهزة الامنية قد أعلنت أخيراً اعتقال وقتل مجموعة من كبار قادة تنظيم «القاعدة"في العراق، في مؤشر إلى تقهقر التنظيم، على رغم تنفيذه عمليات غير مسبوقة وصفت بأنها محاولات لاثبات الوجود وتكريس أفضلية مرشح على آخر في نطاق تنافس على الزعامة جرت تسويته بإعلان قائدين بدلاً من واحد.

علاقة القاعدة بنظام صدام

قبل سقوط سلطة صدام حسين بأشهر تم القبض على عناصر تنتسب الى جهاز المخابرات و الاستخبارات العراقية من قبل قوات الاتحاد الوطني الكردستاني في اقليم كردستان، وأعترف ضابط الاستخبارات (كاظم حسين محمد) الذي تم القبض عليه من ضمن هذه العناصر أثناء استجوابه، أنه كان واحداً من ١٧ حارساً شخصياً عهدت اليهم حماية زعيم تنظيم ((الجهاد)) الاسلام ي نائب زعيم تنظيم ((القاعدة)) أيمن الظواهري حين زار بغداد والتقى صدام.
كما أفاد كاظم حسين أن لهم (يقصد عناصر من الإستخبارات والمخابرات العراقية) دوراً في أفغانستان وارتباط ا بتنظيم القاعدة، وأن الظواهري حضر الى بغداد مرتين وكانت لهم علاقة به.
ويسترسل كاظم ماوصفه بوجود ضباط ارتباط عراقيين، وأنه وقع في الأسر حين كان يتصل بأحد قادة (انصار الاسلام) وأسمه أبو وائل.
وأبو وائل هو القائد الحقيقي لجماعة ((أنصار الاسلام))، وكان ضابطا في الجيش العراقي و تخرج من كلية القانون وأكمل دروسه في كلية الشريعة وذهب الى أفغانستان عام ١٩٩٥ وهو على اتصال دائم مع المخابرات والاستخبارات العراقية، والمذكور ناشط في تنظيم جماعة الملا كريكار في منطقة كردستان، وتؤكد المعلومات أن أبو وائل يعد قناة الاتصال بين تنظيم (القاعدة) وبين النظام الصدامي البائد ويقود مجموعة من الرجال من العرب.
والملا فاتح كريكار هو أحد القادة الأوائل للحركة الاسلام ية المتطرفة في كردستان الذين انتقلوا الى أفغانستان خلال أوائل التسعينيات وهو يحمل لقب ((أمير أنصار الاسلام))، والأسم الحقيقي للملا كريكار هو (نجم الدين فرج)، وقد حصل على ماجستير في علم الحديث في الباكستان حيث عمل مدرساً في الجامعة الاسلامية، ثم سافر في أوائل التسعينيات الى النرويج حيث حصل فيها على اللجوء السياسي ثم حصل أيضاً على الجنسية النرويجية، وبعد حصوله على الجنسية زار منطقة كردستان وأعلن عن تشكيل ((جند الاسلام)).
كانت كوادر ومقاتلي هذه الحركة يتلقون التدريب في أفغانستان وبمساعدات من النظام السابق ويرتبطون بعناصر من جهازي المخابرات والاستخبارات العراقية التي تسهل لهم عمليات تنقلاتهم في المنطقة بتوفير المال والمستمسكات المزورة وغير الحقيقية المستعملة.
ان عدداً لا يستهان به من هذه العناصر التي أنسحبت الى الداخل من العراقيين والعرب والأفغان والذين تدرب أغلبهم في أفغانستان تمكنت من الاستمكان في أماكن داخل العاصمة.
ولم تنته العلاقة الوثيقة بين عناصر هذا التنظيم وبين جهاز المخابرات والاستخبارات العراقي، حيث بقيت تعمل من خلال الخط الثاني (خط الظل) بعد انهيار السلطة والحكم في العراق، والتي تحضر لها وخطط النظام الصدامي قبل انهياره وسقوطه السريع، ومن بين أهم التدريبات التي تلقاها عناصر هذا التنظيم القيام بالتفجيرات والاغتيالات والتخريب في المدن.
ان التنظيمات الارهابية تعتمد على أساليب القتل والموت بعمليات انتحارية وزرع المتفجرات كوسيلة لتخويف المواطن وارهابه، كما تعمد الى التمثيل بالجثث والتطرف في النظرة الى حياة الناس وتصرفاتهم.وينسق قائد جماعة القاعدة من خلال (الارهابي أيمن الظواهري) في العمل مع التنظيمات الفارة والمنسحبة داخل المجتمع العراقي، مستغلة الوضع الأمني المربك والتسيب في الدخول والخروج من الحدود الدولية، اضافة الى عدم معرفة المواطن العراقي من العربي أو الأفغاني من قبل القوات الأمريكية، كما أن عناصر التطرف الموجودة داخل العراق تعاونت بشكل وثيق مع هذه العناصر، وتم ترتيب عمليات الاخفاء والتستر والايواء والمساعدة بعد كل عملية من العمليات الارهابية من اغتيالات وغدر وتفجير وتخريب في المنطقة وخاصة في المناطق المعادية لوجود القوات الأمريكية أو الموالية لسلطة الطاغية.
ويعتمد قادة هذه التنظيمات على ادخال فكرة أساسية أولها أن قتال الولايات المتحدة الأمريكية جهاد في سبيل الله، كما أن الموت أثناء هذه العمليات سيمحو جميع الذنوب والخطايا ويذهب فيها الأنسان شهيداً الى جنان الخلد، وأن أية عملية انتحارية تؤدي بفاعلها الى الجنة مباشرة دون تأخير.
وتعتمد الفتاوى التي يصدرها قادة هذه التنظيمات على ضرورة استعمال العنف لغرض حماية الدين وانقاذ الشريعة من تسلط الكفار، وضرورة العمل بقوة على تطبيق الشريعة الاسلامية!! ومن خلال هذا المنطلق المبتور يعمد الشباب المتطوع بالنظر للسيطرة الذهنية والعقلية عليه، وبالنظر لاصابته بالانغلاق الذهني وعدم تمكنه من النظر أبعد من النقطة التي يقف فيها الى استعداد الشباب لرمي أرواحهم الى التهلكة، مما يمكن قياداته من أستخدامه أبشع استخدام في عمليات انتحارية يكون جسده فيها الوقود في اللعبة السياسية.
أضافة الى التأثير النفسي والقدرة على السيطرة النفسية والتحكم في عقول الشباب المندفع تحت تأثير قدرة قيادات الارهاب وتلبسها بلباس الدين كوسيلة لايهام الشباب بنظافة الوسيلة والهدف الذين يعملان من اجلهما.
واذا كانت الاعترافات التي أدلى بها ضابط الاستخبارات العراقي تدلل على بقاء الارتباطات مستمرة، واذا كانت الارتباطات بين هذه الفصائل وبين التنظيمات السرية لجهاز المخابرات العراقي والتي استعدت للعمل في الخفاء بعد سقوط النظام، لايمكن أن تكون عفوية وغير مرتبة وغير منظمة، أضافة الى تمكن (أيمن الظواهري) وهو القائد البديل للقاعدة من زيارة العراق أكثر من مرة فلابد أن يترك خلفه من العقول الجاهزة لتفجير نفسها باللحظة والمكان الذي يختاره، ويكون وقودها الأنسان المتفجر والواهم بأنه يقوم بترسيخ أسس الدين الاسلام ي عند ارتكابه جريمة من أبشع الجرائم الانسانية.
وفي الوقت الذي تنفى فيه القاعدة بعض، فانها في احيان كثيرة تعلن مسؤوليتها عن هذه الافعال الاجرامية، ومهما ابتعدت هذه التشكيلات عن الحقيقة أو اقتربت منها فأن الارهاب فعل يوحدها وتتسابق للزعم أنها من ارتكبته، وأن التغييب عن الهدف الأساس والحقيقي من الفكرة يتم حجبه عن أنصارها، وأن الجهة التي قامت بهذا الفعل أياً كانت تسميتها تدلل ليس فقط على قصورها في التفكير وضحالتها في التصور والاختلاف، انما باعتمادها الارهاب كوسيلة ليس لديها غيرها أذ لم نسمع أو نشاهد أي وسيلة أو طريقة أخرى في عملها، متناسية أن أيذاء الناس محرم في الديانات السماوية ومن قتل أنساناً ظلماً وكان بريئاً فكأنما قتل الناس جميعاً، وأن الطريق الى الجنة لايمر عبر المتفجرات والموت والخراب والدم والمأساة التي تتركها في نفوس الناس الذين يشكون الى ربهم ظلم الفاعلين.

أبو وائل هو القائد الحقيقي لجماعة (أنصار الاسلام)، وكان ضابطا في الجيش العراقي السابق و تخرج من كلية القانون وأكمل دروسه في كلية الشريعة وذهب الى أفغانستان عام ١٩٩٥ وكان على اتصال دائم مع المخابرات والاستخبارات العراقية السابقة

رهانات القاعدة

من بين مجموعة السيناريوهات التي طرحها البعض لمستقبل العراق بعد الانسحاب الأمريكي، تم تصنيف سيناريو سيطرة القاعدة، وقيام نظام راديكالي إسلامي كآخر احتمال يمكن توقعه.
من جانب الولايات المتحدة، يلفت النظر أن أوباما شدد في خطته للتبكير بالانسحاب على أن القوات الأمريكية ستتحول خلال الفترة الانتقالية من القتال إلى دعم الحكومة العراقية وقواتها الأمنية، على أن تلتزم هذه القوات بالقيام بمهام محددة لمكافحة"الإرهاب"وحماية الجهود المدنية والعسكرية في العراق.
كما أشار بوضوح إلى أن بلاده ستساعد على تدعيم قدرات المؤسسات العراقية على حماية حكم القانون ومواجهة الفساد وتقديم الخدمات الأساسية للعراقيين، وهذا معناه أن واشنطن ستعمل على ضمان استمرارية سيناريو الوضع الراهن، وأنها لن تترك الحكومة العراقية القائمة تواجه القاعدة بمفردها.
من جهة ثانية، أشار أوباما إلى أن الولايات المتحدة ستعمل كوسيط أمين في مساعي التوصل إلى اتفاقيات عادلة ومتماسكة حول القضايا التي قسمت الزعامات العراقية، وهو التزام يدل على أن واشنطن ستلقي بثقلها لإنجاح المصالحة العراقية، حتى لو اضطرت للقبول بعودة قيادات من النظام السابق للعمل السياسي.
ومثل هذه المصالحة ستؤدي إلى تعميق عزلة القاعدة التي ينظر إليها كتنظيم دخيل على الساحة العراقية، بينما يُعتبر قادته والكثير من كوادره"أجانب"بالمعنى السياسي والقانوني للكلمة.
في هذا السياق يلاحظ أن المؤسسات الأمريكية، والتي طالما ضخمت من قوة القاعدة خلال وجود الرئيس جورج بوش في السلطة، هي نفسها التي تتحدث في الوقت الراهن عن هامشية دور التنظيم وافتقاده للتأييد الشعبي، بل ومحدودية عدد المنتمين له؛ ما يعني أن فرص حدوث السيناريو الأسوأ شبه مستبعدة في ظل التزامات أوباما المشار إليها.
لا يعني ذلك بالطبع أن الولايات المتحدة تتجاهل خطر القاعدة؛ فالحاصل أنها ما زالت تتحسب لدور مقبل للتنظيم، ولكن في نطاق بعينه، وهو تفجير الأوضاع الأمنية في مناطق التماس الطائفي الهشة.

تنظيم"القاعدة"بدأت نهايته من أفغانستان

الباحث الامريكي لورنس رايت يرى ان القاعدة فقدت ٨٠٪ من قادتها في أفغانستان وهي تفقد كل يوم في العراق قادة جدد.
لورانس رايت أمريكي متخصص في الكتابة عن القاعدة، وأهم كتبه"البروج المشيدة.. القاعدة والطريق إلى ١١ ايلول"وهو الكتاب الذي تبنى فيه مقولة أن الموجة الجديدة من العنف ترجع إلى المفكر الاسلام ي سيد قطب وكتاباته التي كانت اللبنة الأولى للفكر الجهادي في مختلف دول العالم، ويذهب فيه إلى أن الدكتور أيمن الظواهري هو المنظر الأول لتنظيم القاعدة ومرشده الشيخ أسامة بن لادن، ولـ"رايت"مقال مهم عن الظواهري بعنوان"رجل خلف بن لادن".
ويرى رأيت أن القاعدة لم تَعُد هي المنظمة الفوقية التي تصدر فيها الأوامر من أعلى إلى أسفل، لكن حدثت تحولات فأصبحت هناك ستراتيجيات عنقودية جديدة، أكثر أفقية وأكثر تجزيئًا ويمكن ملاحظة ذلك في تفجيرات مدريد ولندن والمغرب، فالقاعدة بدأت في تغذية الجيل الجديد عبر شبكة الإنترنت.
يرى رايت أن مستقبل القاعدة في العراق مرهون بالفشل، فالقاعدة لن تنتصر في العراق لعدة أسباب، أولها أن أعداء القاعدة في العراق يأخذون في التزايد والاتساع، منهم الدول الأعضاء في حلف الناتو، وروسيا والصين والشيعة والملحدون وغيرهم. ثانيًا أن معظم ضحايا القاعدة في العراق هم من المسلمين، وكذا الأمر في تفجيرات المغرب وكراتشي وبغداد.
وهو ما يؤكد أن المسلمين هم أول من سيدفع الثمن إذا وصلت القاعدة إلى قيادة السلطة؛ لأن تنظيم القاعدة، كما يقول رايت، ليس لديه رؤية سياسية يقدمها للناس في المستقبل، وفي وثيقة التآلف التي وضعتها القاعدة لا توجد رؤية سياسية، ما الذي يمكن أن يقدمه بن لادن للشباب الذين يعانون البطالة حال استلامه الحكم، هل يملك رؤية لإصلاح التعليم، فالقاعدة بالأساس لا تؤمن بالسياسة؛ لأنها ليست حركة سياسية، إنما هي مجرد حركة رد فعل لا تقدم شيئًا للشباب الذي يتبعها.
وينهي رايت رؤيته مؤكدًا أن القاعدة لا تحارب من أجل النصر، لكنها تحارب من أجل الموت، إنهم يرسخون لثقافة الموت، ورغم أن الكثير من الشباب ينضم للقاعدة، لكن القاعدة لا تقدم لهم شيئًا سوى الانتحار، القاعدة بهذا تقدم لهم فرصة بأن يكونوا قادرين على أن يموتوا.

■ اثبتت التحقيقات الى ان من كان ينفذ عمليات القاعدة هم منتسبون من عناصر الحرس الجمهوري وفدائيين صدام اللذين كانوا على تدريب عالٍ قبل سقوط النظام